ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Interpretation of the Ayah: {And you see the mountains, you think them rigid, as they pass through the clouds, God who has mastered everything, He is an expert in what you do} between the Traditional Direction and the Miraculous Tradition

Esraa Tohme Ali Al-Douri

Department of Islamic Creed and Thought/Faculty of Islamic Sciences / University of Samarra

* *Corresponding author: E-mail* :
lsl.israa.t.ali@uosamarra.edu.iq
07735897145

Keywords:
Mountains
Scholars
Solomon
Earth
clouds

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 2 Mar 2025
Available online 3 Mar 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

Through research, it is found that there is no conflict between the two archaeological trends, and the miraculous trend, which links the verse to modern scientific discoveries and the interpretive diversity of the verse and highlighting the spiritual significance and scientific depth and highlighting the miraculous aspect related to the cosmic nature and the interaction between science and religion is a point of convergence, which opens new horizons for understanding religious texts in the light of modern science. The research promotes dialogue between these two aspects and shows that the Qur'anic text can be a source of scientific inspiration without conflicting with interpretations. The other and highlighting the importance of enhancing the understanding of the middle in light of the discrepancy between the interpretive trends without sacrificing any of them, and that Surat An-Naml has many miracles such as the miracle of our master Solomon, peace be upon him.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.3.2025.12

تفسير آية: {وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ } بين الاتجاه التقليدي والاتجاه الاعجازي

إسراء طعمة علي الدوري / جامعة سامراء/ كلية العلوم الإسلامية

الخلاصة:

من خلال البحث وجدت عدم التضارب بين الاتجاهين الاثري الذي يركز على الاخروي وبين الاتجاه

الاعجازي الذي يربط الآية بالاكتشافات العلمية الحديثة والتنوع التفسيري بالآية الكريمة وإبراز الدلالة الروحية والعمق العلمي وإبراز الجانب الاعجازي المتعلق بالطبيعة الكونية والتعامل بين العلم والدين يشكل نقطة تلاقي مما يفتح افاق جديدة لفهم النصوص الدينية في ضوء العلوم الحديثة فالبحث يعزز الحوار بين هذين الجانبين ويوضح ان النص القرآني يمكن ان يكون مصدراً للإلهام العلمي دون التعارض مع التفسيرات الأخرى ،وابراز أهمية تعزيز الفهم الوسطي في ظل التباين بين الاتجاهات التفسيرية دون التضحية بأي منها، و ان سورة النمل فيها الكثير من المعجزات ك معجزة سيدنا سليمان عليه السلام .
الكلمات المفتاحية : (الجبال/ العلماء/سليمان/الارض/ السحاب).

المُقَدِّمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وشفاء لما في الصدور، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم، ورضي الله عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

في القرآن الكريم ألف وثلاثمئة آيةٍ تتحدث عن الكون، وعن خلق الإنسان، وهذه الآيات تقترب من سدس القرآن، وإذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة، وآيات النهي تقتضي الترك، فإن آيات الكون تقتضي التفكر، لذلك ورد في الأثر: "تفكر ساعةٍ خير من قيام ليلةٍ" [1]، ولحكمةٍ إلهية بالغة لم يفسر النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الآيات إما باجتهاد منه أو بتوجيهٍ من الله جلت حكمته؛ لأنه لو فسرها على نحوٍ يناسب فهم من حوله لأنكر هذا التفسير من سيأتي بعده، ولو فسرها تفسيراً يفهمه من سيأتي بعده لاستغلق هذا التفسير على من حوله؛ لذلك تركت هذه الآيات للعصور اللاحقة، ليكشف التقدم العلمي في كل عصرٍ جوانب الإعجاز فيها، وبهذا يكون القرآن الكريم، بما فيه من آياتٍ كونيةٍ معجزة مستمرة إلى يوم القيامة، ومن هنا جاءت فكرة بحثي وتوضيح الفرق بين الاتجاهين التقليدي والإعجازي للآية الكريمة فقد اقتضت خطة البحث ان تكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة بأهم النتائج

المبحث الأول: الخلفية العامة للدراسة .

المطلب الأول: التعريف بالسورة .

المطلب الثاني: سياق الآية .

(1) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)،المحقق: كمال يوسف الحوت،مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1409، رقم: 190،35223/7.

المطلب الثالث: الآيات التي ذكرت بها أحوال الجبال في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: التعريف بالاتجاه الاثري والمعاصر والإعجاز العلمي .

المطلب الأول: الاتجاه الاثري .

المطلب الثاني: الاتجاه الإعجازي.

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي ومفهومه في القرآن الكريم ونشأته.

المطلب الرابع: أهمية الإعجاز العلمي في العصر الحديث .

المبحث الثالث: المعنى العام للآية من خلال الاتجاهين.

المطلب الاول: تفسير الآية من منظور علماء السلف (الاثري) .

المطلب الثاني: التفسير العلمي المعاصر للآية الكريمة.

المبحث الأول: الخلفية العامة للدراسة

المطلب الأول: التعريف بالسورة

سورة النمل ، وعدد احرفها أربعة ألاف وستمائة وتسعة وسبعون حرفاً، وعدد كلماتها ألف ومئة وخمس وستون كلمة، وهي السورة السابعة والعشرون بحسب ترتيب المصحف العثماني والسورة الثامنة والاربعون بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص(الثعلبي، 427هـ،7/188) ، أشهر أسمائها سورة النمل وتسمى أيضا سورة سليمان و سورة الهدهد، ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ النمل ولفظ الهدهد لم يذكرا في سورة من القرآن غيرها، وأما تسميتها سورة سليمان؛ فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلاً لم يذكر مثله في غيرها(السيوطي،911هـ،194/1) ' أول أغراض هذه السورة افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه، بما يشير إليه الحرفان المقطعان في أولها، والتنويه بشأن القرآن وأنه هدى لمن ييسر الله الاهتداء به دون من جحدوا أنه من عند الله، وقد جاء فيها خبر سليمان مع الطير: { وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}(سورة النمل ،الآية: 17) ، وقصة الهدهد بتمامها في السورة ، وفي السورة حديث النملة مع سليمان : { قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا} (سورة النمل من الآية :18–19) ، كما ان السورة الكريمة ذكرت قصة سليمان والعفريت: { قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} (سورة النمل الأية:39)، ومن الاحداث العجيبة

التي ذكرتها السورة الكريمة خبر الرجل الذي عنده علم من أهل الكتاب وكيف استطاع أن ينقل عرش ملكة اليمن في اقل من طرفة عين : { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ } (سورة النمل الأية:40) ، وأشارت السورة الكريمة الى الجانب الحضاري والعمراني في مملكة سليمان ،عمران لم يشهد العالم مثله في ارقى دولة فقد بنى قصرا على أرضية من زجاج املس ثم دعا ملكة سبأ إلى دخول القصر فظننته لجة من ماء راكد ، فكشفت عن ساقيها فأعلمها سليمان بالحقيقة :{ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (سورة النمل الأية:)440) ، ومن الأمور العجيبة التي ذكرتها سورة النمل ،أن الخاطئين من قوم لوط حكموا على الاطهار من أهله بالخروج من القرية ، وعللوا أمر الخروج بتعليل عجيب حيث قال تعالى : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} (سورة النمل الأية:560) ، ان التطهر في المجتمع القذر جريمة يعاقب عليها بالطرد ، وفي السورة الكريمة جاء ذكر الدابة التي تخرج من الأرض عند قرب موعد الآخرة تكلم الناس معاتبة ومسفهة لهم : { وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} (سورة النمل الأية:820) (محمد غريب، ص: 35).

المطلب الثاني: سياق الآية

تحدثت السورة عن الجبال وسيرها كالسحاب ففي قوله تعالى : { وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ } (سورة النمل ، الآية:88) اعتقد كثير من الدارسين أن الآية الكريمة مرحلة من مراحل الجبال يوم القيامة واستدلوا على ذلك بأن الآية الكريمة وردت في حديث القرآن عن الآخرة، كما استدلوا بمثل قوله تعالى: (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)، وهذا الفهم صحيح، ويدفع أي إشكال في فهم الآية عن سلف الأمة (رضي الله عنهم) وعن كل الأجيال التي أعقبتهم، ممن لم يشاهدوا عهد الاكتشافات العلمية لدوران الأرض، ولكن الذين عاصروا العلم الحديث، وهو يقرأ بعض أسرار الكون، ومنها دوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس يمكنهم إذا تدبروا ألفاظ الآية الكريمة أن يفهموها فهما آخر، بلا تكلف ولا تطويع للنص ولكن تدبر معي قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً)، ونحن في الدنيا ننظر إلى الجبال فنحسبها جامدة أما في الآخرة فتكون الجبال كالعهن المنفوش، (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) ومرور السحاب في الدنيا ؛لأنه لا سحاب في الآخرة (محمد غريب، ص: 35).

وقد قال جمهور المفسرين: إن الآية حكت حادثاً يحصل يوم ينفخ في الصور أي ويوم ترى الجبال تحسبها جامدة إلخ.. وجعلوا الرؤية بصرية، ومر السحاب تشبيها لتنقلها بمر السحاب في السرعة ؛ فلما أشكل أن هذه الأحوال تكون قبل يوم الحشر ؛ لأن الآيات التي ورد فيها ذكر دك الجبال ونسفها تشير

إلى أن ذلك في انتهاء الدنيا عند القارعة وهي النفخة الأولى أو قبيلها، فأجابوا بأنها تندك حينئذ ثم تسير يوم الحشر لقوله {فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً} إلى أن قال { يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ } (سورة طه ،من الآية :105-108)؛لأن الداعي هو إسرافيل ، وفيه أن للاتباع أحوالاً كثيرة، وللداعي معاني أيضا (بن عاشور،1393هـ ،20/47) ، و قوله :{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} أي واقفة، {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} ، أي لا يرى سيرها لبعد أطرافها كما لا يرى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه وهذا مثل , و له ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للدنيا يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوا كالسحاب , و الثاني: أنه مثل ضربه الله للإيمان , تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعد إلى السماء، و الثالث: أنه مثل للنفس عند خروج الروح والروح تسير إلى القدس(الماوردي،450هـ،230/4).

المطلب الثالث: الآيات التي ذكرت بها أحوال الجبال في القرآن الكريم:

ذكرت أحوال الجبال في القرآن الكريم أربع وعشرون مرة فقد ذكرت في سورة الأعراف آية : 74، وذكرت في سورة الرعد آية: 31 ، وذكرت في سورة إبراهيم آية: 46، وذكرت في سورة الحجر آية: 82 ، وذكرت في سورة النحل آية: 68 وآية :81، وذكرت في سورة الاسراء آية: 37، وذكرت في سورة الكهف آية: 47، وذكرت في سورة مريم آية: 90 ، وذكرت في سورة طه آية: 105، وذكرت في سورة الأنبياء آية: 79 ، وذكرت في سورة الشعراء آية: 149 ،وذكرت في سورة النمل آية: 88 ،وذكرت في سورة فاطر آية: 27 ، وذكرت في سورة الطور آية: 10 ، وذكرت في سورة الواقعة آية: 5 ، وذكرت في سورة المعارج آية: 9 ، وذكرت في سورة المزمل آية: 14، وذكرت في سورة المرسلات آية: 10 ، وذكرت في سورة النبإ آية: 20، وذكرت في سورة التكوير آية: 3 ، وذكرت في سورة الغاشية آية: 19 ، وذكرت في سورة القارعة آية: 5 ، وذكرت في سورة البقرة آية: 260.

المبحث الثاني: التعريف بالاتجاه الاثري والإعجازي

المطلب الأول: الاتجاه الاثري

ويعرف بالاتجاه الأثري أو الاتجاه السلفي ، والمأثور اسم مفعول من أثرت

الحديث أثرا : نقلته ، والأثر :أسم منه وحديث مأثور ،أي: منقول(الزَّبيدي ،1205هـ،20/10) ويقصد بهذا المصطلح تفسير القرآن اعتماداً على ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ،وما ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ،وما نقل عن الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم) وظل هذا الاتجاه خلال رحلته الطويلة عبر القرون يحمل صورة

التفسير القرآني الجاد والأصيل الذي تهفو إليه أفئدة جمهور المسلمين في شق الامصار الاسلامية ، ومن امثلة التفاسير بالاتجاه الاثري للقدماء :

اولاً : تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، للأمام الطبري (رحمه الله).

ثانياً: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (رحمه الله).

ثالثاً: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (رحمه الله).

ومن أمثلة التفسير بالاتجاه الاثري للعلماء المعاصرين:

- محاسن التأويل للقاسمي.
- التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة.
- محاسن التأويل للشيخ محمد حمال الدين القاسمي (المحتسب، ص:41).

المطلب الثاني: الاتجاه الاعجازي

ويعرف بالاتجاه العلمي وهو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن الكريم للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها ، ويقوم اصحاب هذا الاتجاه على تفسير الآيات تفسيراً علمياً وفق قواعد العلم الحديث ،ويبينون المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث وقد تعمق هذا الاتجاه في العصر الحديث بسبب التقدم العلمي الكبير ،وحدوث نظريات وكشوف علمية عديدة في مختلف مجالات وميادين العلوم الحديث مثل: علم الفلك و علم طبقات الارض وعلم النبات وعلم الحيوان وهكذا والامام الغزالي (رحمه الله) أكثر من عمل على ترويج التفسير العلمي في الاوساط العلمية والإسلامية ومن امثلة هذا الاتجاه :

اولاً: مفاتيح الغيب الامام الرازي رحمه الله.

ثانياً: انوار التنزيل واسرار التأويل الامام البيضاوي رحمه الله .

ثالثاً: البرهان في علوم القرآن الامام الزركشي رحمه الله .

ومن امثلة هذا الاتجاه في العصر الحديث

- محاسن التاويل محمد جمال الدين القاسمي.
- روح المعاني محمود شكري الالوسي .
- الجواهر للشيخ الطنطاوي جوهري(المحتسب، .ص:41).

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي ومفهومه في القرآن الكريم ونشأته:

الإعجاز العلمي: هو إخبار القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى (الطيار، ص: 186) ، فالإعجاز العلمي يقصد هنا: إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة الى حقيقة من حقائق الكون أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاول من القرون (النجار، ص:72).

وإن لفظة (الإعجاز) و(المعجزة) كلاهما لفظ محدث لا نجدهما في كتاب الله تعالى ولا في حديث نبوي شريف ولا ولم يستخدمها في كلام الصحابة أو التابعين (رضوان الله عليهم) ومن بعدهم الى المعنى المتعارف عليه إلى ان انقضى القرن الأول والثاني من الهجرة النبوية وكان يستخدم في تلك العصور كلمة الحجة أو الآية أو البرهان وما شابهها ، ثم ظهر لفظ الإعجاز على خفاء في كلام أهل القرن الثالث الهجري ثم استفاض استفاضة ظاهرة في القرن الرابع وما بعده الى يومنا هذا إذ صار جزءاً من الدراسة الأصلية لعلوم القرآن ،ويظهر أن استخدام هذا اللفظ كانت بدايته على ألسنة أقلام المعتزلة ،فأول كتاب حمل عنوان كلمة(إعجاز) هو: (إعجاز القرآن) لمحمد بن يزيد الواسطي المعتزلي الذي توفى (307هـ) فمن الواضح أنه ألف في أواخر القرن الثالث من الهجرة أو في مطلع القرن الرابع، ثم اصبح لفظ (الإعجاز والمعجزة) يستخدمان على اعتبارهما مصطلحاً متعارفاً عليهما ،نتيجة الجدل الكلامي في أمور العقيدة بعد ظهور المعتزلة خاصة تعارف العلماء على معنى اصطلاحي يرجعون إليه(أبو فهر،ص: 19) (البيطار، ص:7).

المطلب الرابع: أهمية الإعجاز العلمي في العصر الحديث

إن إعجاز القرآن عام في كل أنواع المعرفة، والقرآن الكريم بحر لا ساحل له، وتقدم العلوم والمعارف، إنما يكشف لنا عن بعض ما في كتاب الحق تبارك وتعالى من معان تتحدى أساطين الكشف والاختراع، قال الله تبارك وتعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} (سورة الكهف ، الاية:109) فالقرآن العظيم من أي ناحية ارتشفت من رحيقه وشهده وجدت الشفاء والهداية، ووجدت الإعجاز العام الخالد الذي يتحدى الزمن، يقرأه البليغ فيجد فيه الإعجاز البلاغي، ويقرأه العالم الاجتماعي فيجد فيه أسباب سعادة المجتمع، ويقرأه الطبيب فيخر ساجدا أما أسراره

التي لا تقف عند حد، وهكذا كان القرآن الكريم المعجزة الخالدة، قال الحق تبارك وتعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (سورة الاسراء، الآية :88) ، وقد كشف العلم الحديث عن معنى بعض الآيات القرآنية، وكلما تقدمت العلوم كلما زاد اكتشاف جواهر القرآن، وأسراره وكنوزه، ولقد وردت في القرآن الكريم آيات بينات اشتملت على حقائق علمية كشفها العلم الحديث وبينها ووضحها، وصدق الله سبحانه وتعالى القائل:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (سورة فصلت ،الاية:53)، منها الاعجاز العلمي في العسل يقول الله تبارك وتعالى عن عسل النحل:{فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} (سورة النحل ، من الاية:69)، فقد اشتملت الآية الكريمة على كثير من النواحي الطبية التي اكتشفها الطب الحديث والتي تعتبر من معجزات القرآن العلمية لقد أثبتت جميع المعامل الطبي العالمية أن عسل النحل يشتمل على مواد تعالج الكثير من الأمراض، كما أن له مفعولاً كبيراً في شفاء الكثير من الأمراض؛ لأنه يقتل الكثير من الميكروبات وقول الله سبحانه وتعالى في قصة السيدة مريم أم عبد الله ورسوله سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّا} (سورة مريم، الاية:25)، أثبت التحليل العلمي للرطب أنه يحتوي على مادة تخفف ضغط الدم عند السيدات الحوامل، وتؤثر تأثير كبيراً في مساعدة السيدات الحوامل على سهولة الولادة، وأن الرطب له تأثيره الخاص على حركة الأمعاء على أن الرطب يعادل اللحم في قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالإضافة إلى أنه غني بالكلسيوم والفسفور والحديد ويحتوي على غالبية الفيتامينات الهامة، كما أنه يفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر والأمراض الجلدية والانيميا ولين العظام(محمد المهدي،ص:29-35) .

المبحث الثالث: المعنى العام للآية من خلال الاتجاهين:

المطلب الاول: تفسير الآية من منظور علماء السلف (الاثري)

قوله: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) يقول: قائمة. وإنما قيل: (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) لأنها تجمع ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيرا حثيثا، وقوله: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) وأوثق خلقه ، عن علي عن ابن عباس، قوله: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) يقول: أحكم كلّ شيء، حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) يقول: أحسن كلّ شيء خلقه وأوثقه(الطبري،310هـ،506/19).

وقيل قوله عز وجل: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} قائمة أي: واقفة، {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} أي: تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض، فتستوي بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم

القيامة لعظمتها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر، {صُنْعَ اللَّهِ} نصب على المصدر، {الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} أي: أحكم، {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}(البغوي،510هـ،6/183).

وهذه الآية هي العلامة الثالثة لقيام القيامة وهي تسيير الجبال، والوجه في حسبانهم أنها جامدة فلأن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن الناظر إليها أنها واقفة مع أنها تمر مراً حثيثاً ، أما قوله: صنع الله فهو من المصادر المؤكدة كقوله:{ وَعَدَ اللَّهُ} (سورة النساء ، من الآية :95)و{صِبْغَةَ اللَّهِ}(سورة البقرة، من الآية :138).

، إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ، والمعنى أنه لما قدم ذكر هذه الأمور التي لا يقدر عليها سواه جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة(الرازي،606هـ،24/574).

وقيل قوله تعالى: {وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ }، وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً ثابتة في مكانها، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ} في السرعة، وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها، {صُنْعَ اللَّهِ } مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}، أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي،{ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ } عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم عليها(البيضاوي،685هـ،4/1169) .

المطلب الثاني: التفسير العلمي المعاصر للآية الكريمة

قوله تعالى: {وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ } (سورة النمل، الاية:88).

إن الآية حكت حادثاً يحصل فقوله {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} (سورة النمل، الآية : 87) ، فجعلوا قوله وترى الجبال تحسبها جامدة عطفا على {يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} أي ويوم ترى الجبال تحسبها جامدة إلخ.. وجعلوا الرؤية بصرية، ومر السحاب تشبيها لتنقلها بمر السحاب في السرعة، وجعلوا اختيار التشبيه بمرور السحاب مقصودا منه إدماج تشبيه حال الجبال حين ذلك المرور بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها فيكون من معنى قوله : {وتكون الجبال كالعهن المنفوش} (سورة القارعة ، الآية :5) ، وجعلوا الخطاب في قوله ترى لغير معين ليعم كل من يرى، وجعلوا معنى هذه الآية في معنى قوله تعالى: { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ } (سورة الكهف، من الآية :47) ، فلما أشكل أن هذه الأحوال تكون قبل

يوم الحشر؛ لأن الآيات التي ورد فيها ذكر دك الجبال ونسفها تشير إلى أن ذلك في انتهاء الدنيا عند القارعة وهي النفخة الأولى أو قبيلها، فأجابوا بأنها تندك حينئذ ثم تسير يوم الحشر لقوله: { فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً } إلى أن قال: { يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ} (سورة طه، من الآية : 105- 108) ؛لأن الداعي هو إسرافيل وفيه أن للاتباع أحوالا كثيرة، وللداعي معاني أيضا ،(الشعراوي،1418هـ،10857- 17/10859) وقال: هذا مما يكون عند النفخة الأولى وكذلك جميع الآيات التي ذكر فيها نسف الجبال ودكها وبسها، وكأنهم لم يجعلوا عطف وترى الجبال على {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} حتى يتسلط عليه عمل لفظ (يوم) بل يجعلوه من عطف الجملة على الجملة، والواو لا تقتضي ترتيب المعطوف بها مع المعطوف عليه، فهو عطف عبرة على عبرة وإن كانت المذكورة أولى حاصلة ثانياً وجعل كلا الفريقين: قوله { صُنْعَ اللَّهِ} مرادا به تهويل قدرة الله تعالى وأن النفخ في الصور وتسيير الجبال من عجيب قدرته، فكأنهم تأولوا الصنع بمعنى مطلق الفعل من غير التزام ما في مادة صنع من معنى التركيب والإيجاد، فإن الإتقان إجادة، والهدم لا يحتاج إلى إتقان، قيل هذا مثل ضربه الله، أي وليس بخبر، وفيما ضرب فيه المثل ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه مثل للدنيا يظن الناظر إليها أنها ثابتة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب.

الثاني: أنه مثل للإيمان تحسبه ثابتا في القلب، وعمله صاعد إلى السماء.

الثالث: أنه مثل للنفس عند خروج الروح، والروح تسير إلى العرش.

وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي، فإن الناس كانوا يحسبون أن الشمس تدور حول الأرض فينشأ من دورانها نظام الليل والنهار، ويحسبون الأرض ساكنة واهتدى بعض علماء اليونان إلى أن الأرض هي التي تدور حول الشمس في كل يوم وليلة دورة تتكون منها ظلمة نصف الكرة الأرضي تقريبا وضياء النصف الآخر وذلك ما يعبر عنه بالليل والنهار، ولكنها كانت نظرية مرموقة بالنقد وإنما كان الدال عليها قاعدة أن الجرم الأصغر أولى بالتحرك حول الجرم الأكبر المرتبط بسيره وهي علة إقناعية لأن الحركة مختلفة المدارات فلا مانع من أن يكون المتحرك الأصغر حول الأكبر في رأي العين وضبط الحساب وما تحققت هذه النظرية إلا في القرن السابع عشر بواسطة الرياضي (غاليلي) الإيطالي ،والقرآن يدمج في ضمن دلائله الجمة وعقب دليل تكوين النور والظلمة دليلا رمز إليه رمزا، فلم يتناوله المفسرون أو تسمع لهم ركزا.

وإنما ناط دلالة تحرك الأرض بتحرك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية فظهور تحرك ظلالها متناقصة قبل الزوال إلى منتهى نقصها، ثم آخذة في الزيادة بعد الزوال، ومشاهدة تحرك تلك الظلال تحركا يحاكي دبيب النمل أشد وضوحا للراصد، وكذلك ظهور تحرك قممها أمام قرص الشمس في الصباح والماء أظهر مع كون الشمس ثابتة في مقرها بحسب أرصاد البروج والأنواء.

ولهذا الاعتبار غير أسلوب الاستدلال الذي في قوله تعالى {ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه} (سورة النمل، الآية: 86) فجعل هنا بطريق الخطاب وترى الجبال. والخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) تعليما له لمعنى يدرك هو كنهه ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم كما عمم قوله {ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه }(سورة النمل، الآية: 86) في هذا الخطاب، وادخارا لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة الدقيقة. فالنبي (صلى الله عليه وسلم) أطلعه الله على هذا السر العجيب في نظام الأرض كما أطلع إبراهيم عليه السلام على كيفية إحياء الموتى، اختص الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) بعلم ذلك في وقته وائتمنه على علمه بهذا السر العجيب في قرآنه ولم يأمره بتبليغه إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حينئذ حتى إذا كشف العلم عنه من نقابه وجد أهل القرآن ذلك حقا في كتابه فاستلوا سيف الحجة به وكان في قرابه ، وهذا التأويل للآية هو الذي يساعد قوله وترى الجبال المقتضي أن الرائي يراها في هيئة الساكنة، وقوله تحسبها جامدة إذ هذا التأويل بمعنى الجامدة هو الذي يناسب حالة الجبال إذ لا تكون الجبال ذائبة، وقوله وهي تمر الذي هو بمعنى السير مر السحاب أي مرا واضحا لكنه لا يبين من أول وهلة. وقوله بعد ذلك كله { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } المقتضي أنه اعتبار بحالة نظامها المألوف لا بحالة انخرام النظام لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن ولكنه يوصف بالأمر العظيم أو نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت التصور(بن عاشور،1393هـ،47-20/50).

الخاتمة

تعتبر الآية الكريمة من النصوص القرآنية التي تجمع بين الدلالة الروحية والعمق العلمي حيث تبرز جانباً من جوانب الإعجاز القرآني المتعلق بالطبيعة الكونية وحركة الارض وقد شغلت هذه الآية مكانة خاصة في تفاسير العلماء المسلمين عبر العصور مما جعل دراستها وتحليلها من الاتجاهات التفسيرية المختلفة امراً ذا أهمية كبيرة ، ويدخل التنوع التفسيري أي إن الآية الكريمة محل بحثي حضت بتفسيرات متنوعة بين الاتجاه التقليدي الذي يركز على الأخروي وبين الاتجاه الإعجازي الذي يربط الآية بالاكتشافات العلمية الحديثة، ودراسة هذا النوع التفسيري يمكن إن يكشف عن غنى النص القرآني مرونته في استيعاب مفاهيم مختلفة، فتزايد الاهتمام بما يعرف بالإعجاز العلمي في تناول الظواهر الكونية فهذا النص يأتي تسليط الضوء على كيفية تعامل العلماء مع هذه الآيات مع التفاسير التقليدية والمعاصرة، والتعامل بين العلم والدين موضوع البحث يشكل نقطة تلاقي بين العلم والدين مما يفتح افاق جديدة لفهم النصوص الدينية في ضوء العلوم الحديثة فالبحث يعزز الحوار بين هذين المجالين ويوضح ان النص القرآني يمكن إن يكون مصدراً للإلهام العلمي دون التعارض مع التفسيرات الروحية.

References

2- Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (deceased: 911 AH), investigator: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Book Organization, edition: 1394 AH / 1974 AD.

3- Liberation and Enlightenment, Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher bin Ashour Al-Tunisi (deceased: 1393 AH), Tunisian Publishing House - Tunisia, year of publication: 1984 AH.

4- Surat Al-Waqi'ah and its approach to beliefs (studies in the objective interpretation of the Holy Qur'an) Mahmoud Mohamed Gharib: One of the scholars of Al-Azhar Al-Sharif and the religious guide for the youth of Cairo University, Dar Al-Turath Al-Arabi - Cairo, third edition - 1418 AH - 1988 AD.

5- Tafsir al-Mawardi = jokes and eyes, Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib al-Basri al-Baghdadi, known as al-Mawardi (deceased: 450 AH), investigator: al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsoud ibn Abd al-Rahim, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut / Lebanon.
6- The crown of the bride from the jewels of the dictionary, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Husseini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada, Al-Zubaidi (deceased: 1205 AH), investigator: a group of investigators, Dar Al-Hidaya.

7- Trends of Interpretation in the Current Era, Dr. Abdul Majeed Abdul Salam Al-Muhtaseb, Third Edition: 1402 AH-1982 AD, Islamic Renaissance Library.

8- Scientific miracles to where? Evaluation articles for scientific miracles., Dr. Musaed bin Suleiman bin Nasser Al-Tayyar, Dar Ibn Al-Jawzi, second edition, 1433 AH.

9- Heaven in the Holy Quran, d. Zaghloul Al-Najjar, Dar Al-Maarifa, Beirut, first edition, 1425 AH.

10- Entrances to the Miracles of the Qur'an, Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Dar Al-Madani, Saudi Foundation in Egypt, Al-Sahafa Street, Mishrifah District, first edition, 2002 AD - 1423 AH.

11- The idea of the miracle of the Qur'an since the Prophet's mission to the present time with criticism and commentary, Naim Al-Homsi, presented by Mr. Bahjat Al-Bitar, Al-Resala Foundation, second edition: 1400 AH.

12- On the Scientific Miracles of the Holy Qur'an in the Modern Era, Muhammad al-Mahdi Mahmoud Ali, Islamic University, Medina, edition: fifth year, first issue, Rajab 1392 AH / August 1972 AD..

13- Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Qur'an, Abu Jaafar, Muhammad bin Jarir al-Tabari (224-310 AH)

14- Distribution: Dar Al-Tarbiah and Heritage - Makkah Al-Mukarramah - P.O.Box: 7780, Edition: No publication date.

15- Milestones of download in the interpretation of the Qur'an = interpretation of Al-Baghwi, Muhyi Al-Sunnah, Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud Al-Baghawi (deceased: 510 AH), investigator: achieved and produced hadiths Muhammad Abdullah Al-Nimr - Othman

Juma Damiria - Suleiman Muslim Al-Harsh, Dar Taiba for Publishing and Distribution, edition: fourth.

16- Keys to the Unseen, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Rai (deceased: 606 AH), House of Revival of Arab Heritage - Beirut, third edition - 1420 AH.

17- Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil, Nasir al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi al-Baydawi (deceased: 685 AH), investigator: Muhammad Abd al-Rahman al-Marashli, House of Revival of Arab Heritage – Beirut, first edition – 1418 AH.

18- Tafsir Al-Shaarawy - Al-Khawatir, Muhammad Metwally Al-Shaarawy (deceased: 1418 AH), Akhbar Al-Youm Press.

19- The series of interpretation of Mustafa Al-Adawi, Abu Abdullah Mustafa bin Al-Adawi Shelbaya Al-Masri, the source of the book: audio lessons unpacked by the Islamic Network website.